أولا:فترة عظمة المملكة (عصر لويس الرابع عشر)

أ_ بسط السيطرة الملكية 1661-1715:

منذ أن توفى مزران جمع لويس الرابع عشر وزراءه، وأبلغهم أنه سيكون منذ هذا اليوم رئيس الوزراء وأنهم سيقدمون له المشورة ، حين يطلبها منهم ، وطلب اليهم ألا يوقعوا على شيء بدون موافقته وهكذا أصبح لويس الرابع عشر هو الملك ، وهو الذي يحكم وكان له من العمر في ذلك الوقت 22 سنة وظل يحكم حتى بلغ من العمر 77 سنة وكان قد تمرن على شؤون الحكم منذ سن السادسة عشر مع مزران، فكانت له دراية بشؤون الحكم والجيش والسياسة الخارجية، وكان لويس الرابع عشر منذ صغره قد أعطى لنفسه تصور هو أن من حق الملك أن يفعل ما يحلوا له، وأنه حصل على التاج بحق إلهي، وأنه هو الذي يمثل الإله في البلاد وكان يقضي معظم أوقاته في دراسة شؤون المملكة وفحصها واتخاذ القرارات فيها [1] واتبع لويس الرابع عشر في حكمه نظريات الأسقف بوسويه [2] (1627-1704) رائد ولي عهده ، وشب بوسويه إلى الملك صفات أربعة هي :

- قدسية شخصية واعتبارا المؤامرة عليه أو محاولة اغتياله أمرا مخالفا للعقائد الدينية .

- سلطته مطلقة إلى أقصى الحدود، لذلك لايحق لرعاياه التذمر لأنه مسؤول عن أعماله أمام الإله.

- من واجباته الاهتمام بمصالح رعيته باعتباره الأب الرحيم لها [3] .

- الملك إنما هو رمز لأمة بأسرها وصورة أرضية الإله وكما وجد الإله جميع الفضائل توحدت قوة أفراد الأمة وسلطانها في شخص الملك وسيطرت هذه النظرية على

---

[1] _يحي جلال، المرجع السابق، ص 56 .

[2] _**الأسقف بوسويه** المطران،1627 _1704، عمل كاهنا لمدينة مبتير حيث تصدى للبرونست والبروتسنانية وقد هاجم الياسناتية ومن ثمة أصبح مربيا وأستاذا لولي عهد فرنسا وبعد أن كتب عدد من الأبحاث السياسية أصبح مستشارا للملك. أنظر: رونالد سرومبرج، المرجع السابق، ص 696 .

[3] _مفيد الزيدي ، موسوعة تاريخ أو ربا الحديث والمعاصر ،د ج، ط2 ، دار أسامة ، د م ،2009 ، ص 501 .

ملوكأوربا لمدة قرن تقريبا، ولم يتم التراجع عنها إلا بالثورات[1]، ومع ذلك فإن حياة البلاط في عصره كانت نشطة، وبعد الفترة التي حيا فيها إشعال البلاط مع الحروب الدينية ، أعطى لويس الرابع عشر حياة جديدة للبلاط الملكي في قصر فرساي، وكان الأمراء والنبلاء يتسابقون للتواجد حوله ولإتباع المراسيم التي فرضتها على الجميع، ولذلك فإنه هو الذي وضع أسس الإيتيكت في فرنسا وفي العالم [2].

وكان جمع الأمراء والنبلاء في بلاطه يضمنه له أبعاد نفوذهم عن الأقاليم وتحويلهم إلى مجرد حاشية تتبعه في كل مكان، وليس لها أي سلطة أو نفوذ، حيث وضع لويس نظاما للحكم، مرتبط بشخص فهناك إدارة الملك العسكرية وهي التي تحولت فيما بعد إلى هيئة الباورات وهناك إدارة الملك المدنية وهي التي ضغط فيها الوزارات والإدارات والتي تحولت فيما بعد إلى الديوان الملكي وبهذه الطريق أصبح لويس الرابع عشر ملكا وحاكما، وله سلطة مطلقة، سلطة الحق الإلهي و روض الجميع من أمراء ونبلاء وحكام وقادة عسكريين على أن يصبحوا تابعين للملك شخصيا[3].

ولقداستعان لويسالرابع عشر في حكمه برجال الطبقة البرجوازية حتى يحرم النبلاء من كل سلطة ونفوذ، وكانت الحكومة في عهده حكومة مركزية تماما ورغم وجود مستشار ووزراء للشؤون الخارجية وللحربة والبحرية ولشؤون القصر إلا أن أحد منهم لم يكن في وسعه أن يتخذ أي قرار دون عرضه على الملك وكان الملك يقرأ التماساتهم أو توصياتهم وتقاريرهم ويوجهها جسما يرى أما بالنسبة للأقلية فإنه زاد من سلطة المراقبين والمفتشين حتى أصبحوا ممثلين شخصيين له، كلا في مقاطعتهويأتمرون بأمره، وظل هذا النظام معمولا به في فرنسا حتى عصر الثورة الفرنسية [4].

ب- التنظيم الإداري :

[1] _ مفيد الزيدي ، المرجع السابق ، ص 501 .

[2] _ يحي جلال ، المرجع السابق ، ص 57 .

[3] _ جفري برون ، المرجع السابق ، ص 287 .

[4] _جفري برون ، المرجع السابق ، ص 287-288.

1_الإصلاحات الاقتصادية:

على أن موارد فرنسا المتعددة وطاقاتها الواسعة وكثرة عدد سكانها، كل هذه الأمور كانت كفيلة على الرغم من تخلفهاعندئذفي الصناعة والزراعة بأن تجعلها تنهض باقتصادياتها فقد كانت أكثر دول أوربا القومية سكانا، ففيها حوالي خمسة عشر مليونا من المواطنين الذين يعملون في فلاحة الأرض وما يزيد على خمسة ملايين يرتزقون من أربع أراضيهم أو من مكاسبهم في الصناعة والتجارة، أو من مرتبات يتقاضونها لشغلهم بعض المناصب الإدارية وغيرها وعندما بدأت حركة الإصلاحات الاقتصادية في فرنسا أثناء أعوام الستينات 1660 استغل لويس الرابع عشر أولئك الإداريين الذين دربهم مزران في هذا المجال وعلى رأسهم الوزير كولبير الذي حل محل فوكيه[1].

كان كولبير شخصية لا مثيل لها من المرتبة والامتياز، وساهم هذا الرجل في تحويل الاقتصاد الفرنسي من اقتصاد إقطاعي زراعي إلى اقتصاد رأسمالي، ومنذ أن عين وزيرا في سنة 1661 اهتم كولبير بإعادة الحالة المالية في البلاد إلى وضعها الأول وإنقاذ البلاد من حالة الفوضى والارتباك الاقتصادي، فقد أعاد كولبير تنظيم المالية الدولة وأصلح نظام الضرائب كما وضع خطة إصلاحية لمعالجة الشؤون المالية تقود إلى زيادة الثروة القومية عن طريق تنظيم الضرائب وتنمية موارد البلاد التجارية والصناعية والزراعية وقد استعمل في إعادة بناء الاقتصاد الفرنسي أساليب دكتاتورية وبدأ بفحص أساليب الماليين الذين يقومون بجباية الضرائب ، ويقدمون القروض للإقطاعيين أو لخزانة الدولة وقد كان بعضهم أثرياء جدا وبناءا على طلب كولبير شكل الملك "غرفة العدالة " للتحقيق في جميع المخالفات المالية التي ارتكبت منذ سنة 1635 م وطلب من جميع موظفي الخزانة وأصحاب الدخول وجباة الضرائب أن يقدموا سجلات تبين شرعية مكاسبهم ونتيجة لهذه التحقيقات أودع بعض

[1] _زينب عصمت راشد ، المرجع السابق ، ص 173 .

الأغنياء في السجن وحكم على البعض بالأشغال الشاقة والبعض بالإعدام، وقد وصفت هذه الأعمال بأنها " الإرهاب الكولبيري " [1].

أما الصناعة فجعل كولبير فرنسا دولة صناعية كبرى، فشجع الصناعات الموجودة مثل صناعة المنسوجات والسجاجيد والحرير، وأنشأ صناعات جديدة مثل الزجاج والخشب والصلب، واستدعى بأثمان باهضة عددا من الفنيين والصناع الأجانب[2]مثال كان يجتذب صانعي الأقمشة الفاخرة من هولندا وقدم لهم الملك رؤوس الأموال اللازمة للإنشاء المصانع وشراء الموادالخام، كما وضع في عام 1664 م، تعريفه جمركية جديدة على السلع المستوردة لحماية هذه الصناعات الجديدة من المناقشة الأجنبية ولم يلبث أن ضاعف هذه التعريفة عام 1667 م ليحطم الهولنديين، وكانوا أكبر منافسين للاقتصاد الفرنسي، وقابلت هولندا هذه المعاملة بالمثل، وقد انتهت هذه الحرب الجمركية إلى كفاح مسلح بين البلدين في عام 1672 م[3].

أما في مجال التجارة ، أمن كولبير بأن اقتصاد الأمة يجب أن ينتج أقصى ما يمكن من ثروة واكتفاء ذاتي داخل الأمة، وأنه لابد من تنظيم التجارة بحيث تكفل للأمة توازنا تجاريا في صالحها أي زيادة في الصادرات على الواردات ومن ثم تكفل تدفق الذهب والفضة إلى البلاد، إن وظيفة التجارة حسب قوله تكمن في تصدير السلع المصنوعة مقابل المعدن الثمين أو الخامات وتنفيذا لهذه السياسة، قرر كولبير في سنة 1664 وسنة 1667 أن يرفع الرسوم على الواردات التي هددت بمنافسة منتجات الصناعات الوطنية في فرنسا وفرض رسوم تصدير باهضة على المواد الضرورية، كمحاول تحرير التجارة الوطنية من المكوس الداخلية، كما أسس شركة الهند الشرقية الفرنسية في سنة 1664 ومنحها حق

[1] _ ميلاد المقرحي، المرجع السابق، ص 197 .

[2] _ يحي جلال، المرجع السابق، ص 58.

[3] _عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 266.

احتكار التجارة مع الشرق الأقصى، وتأسست فيما بعد الشركة الصينية سنة 1698 م وشركة غنيا سنة 1701كما أسس شركات تجارية أخرى للتجارة مع أمريكا وا إفريقيا[1] .

2-بناء الأسطول و الجيش :

عهد لويس الرابع عشر ببناء الجيش الفرنسي الحديث إلى توليه حيث قام بكثير من الإجراءات المبدئية بصدد ذلك وكان الأمر يقتضي عندئذ تنظيم الجيش وتحويله إلى أداة فعالة لتحقيق سياسة التاج وكان ذلك يحتم القضاء على فكرة أن الضابط النبيل هو صاحب الفرقة والمسيطرة عليها فجعل أمر تدريب ضباط المستقبل تحت إشراف الحكومة، كما كان ذلك النظام الجديد، يهدف إلى أن تكون المهارة والشجاعة والتفوق في الجيش هي وسائل الترقي فيها[2]ووضعت لهذا النظام الإدارات المختلفة للتموين والشؤون الإدارية والمستشفيات ووضع لوفوا كسوة عسكرية لكل الجنود، كما وضع نظاما دقيقا للطاعة دون اعتراض بين الجنود وضباطهم واهتم بنظام التجنيد، وعلى أساس التطوع في مقابل الرواتب والخضوع للنظام العسكري كما أنشأ سلاح المدفعية وسلاح المهندسين، وهو الذي اهتم بالتحصينات على طول حدود فرنسا، واشتهر من بين رجال الماريشال فوبان[3].

3- العمارة والفنون والأدب :

كان لويسالر ابع عشر من أكبر رعاة الفن الذين شهدهم التاريخ وكانت حكومته من شجعت الفنانين على الإبداع بشكل واضح، وتطور فن العمارة في فرنسا وحلت العمارة الملكية، محل العمارة الكنسية، وبما أن أوربا قد تميزت بوحدة النظم الملكية والعقيدة المسيحية ، فإن مجال الفن كان فوق كل شيء في القصر والكنيسة، وأخذ الفن يبرز في صورة ليتحرر من قيود الكنيسة ، وبالإضافة إلى اهتمامه بتشجيع الروائع في الفن والعمارة والنحت والتصوير شجع لوسن الأدب والمسرح ، فريشليو قد ساعد الفن الفرنسي على

[1] _ميلاد المقرحي ، المرجع السابق ، ص 198 .

[2] _زينب عصمت راشد ،المرجع السابق ، ص 175 .

[3] _جفري برون ، المرجع السابق ، ص 290 ، أنظر: صلاح أحمد هريدي ، المرجع السابق ، ص 298 .

النهوض والتخلص من تأثير الحروب الدينية ، ومنذ ذلك الوقت بدأ التنافس في جميع آثار الفن ونسخ روائعه ، أما مزران فقد أسهم ذوقه الإيطالي في انحياز الملك إلى الفن الكلاسيكي القديم، حيث أسس مزران سنة 1648 أكاديمية التصوير والنحت ، وما لبث الملك أن أصدر مرسوما في سنة 1655 م بشأن هذه الأكاديمية فأصبحت الأولى في الأكاديميات التي كان الهدف منها تدريب الفنانين وتوجيههم في خدمة الدولة ، وفي سنة 1664 أعاد كولبير تنظيم أكاديمية التصوير والنحت وأطلق عليها اسم الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة ، وفي سنة 1671 أسس الأكاديمية الملكية للعمارة، وشجع الفنانين على البناء والزخرفة وفقا للذوق الرفيع الذي يحبه الملك ، كما أسس أكاديميات أخرى للموسيقى والرقص والفنون والعلوم [1]،وبدأت الأموال الفرنسية تتدفق إلى ايطاليا بأمر من كولبير لشراء الآثار الفن الكلاسيكي أو فن عصر النهضةونقلها إلى بار يس العاصمة الفرنسية .

أما بشأن العمارة فقد حلت العمارة الملكية محل العمارة الكنسية عندما تفوقت الدولة على الكنيسة من حيث المكانة والثراء، حيثأصبح الغرض هو التعبير عن القوة لاعن الورع وكان لقصر اللوفر[2] ميزة تميز بها عن غيره من العمائر وشهد نمو اللوفر أجيال كثيرة وترك ملوك كثر بصماتهم على تاريخه، ويعد الفناء المربع وواجهة الأعمدة في اللوفر نموذجا للفن الكلاسيكي الفرنسي، وقد شارك في بناء اللوفر معماريون فرنسيون مثل لوفر ولوبران وبيرو، كما قرر لويس أن يبني قصرا آخر في فرساي فقرر أن يوسع استراحة الصيد ويجعل منها قصرا ملكيا وبدأ العمل سنة 1662 واستمر حتى سنة 1686 تقريبا وقد كلف بناءه الكثير وأصبح من أفخر مباني العالم إذ يقوم على الأسلوب الفرنسي الخالص في فن العمارة وأصبح يشتهر بقاعة المرايا الشهيرة [3] وبالرغم أن قصر فرساي[1] يقوم على الأسلوب

---

[1] _ ميلاد المقرحي، المرجع السابق، ص ص 210- 212.

[2] _ **قصر اللوفر:** يقع على الضفة اليمني من نهر السين، وحاليا أحدا أهم المتاحف في العالم كان قلعة في عهد الملك فليب أوغست وحولها شارل الخامس إلى قصر يقيم فيه، هدم فرنس والأول جزء منه ، واستمر العمل فيه عهد هنري الرابع، ثم لويس الثالث عشر، وبعده لويس الرابع عشر.أنظر: مسعود الخوند ، المرجع السابق ، ص 407.

[3] _ ميلاد المقرحي، المرجع السابق، ص 213 .

الفرنسي الخالص فإن الأسلوب الباروكي بقي شائعا في الأعمال الزخرفية التزينية فقد ظهرت الزخرفة في فرساي بشكل واضح وأصفرت البساطة الكلاسيكية للزخرفة الباروكية[2] .

وفي مجال التصوير، اشتهر شارل لبرون الذي هيمن على الفنون في باريس فرساي وقد منحت لويس ما شاء من المال ليزين فرساي، حيث رسم في القاعة الكبرى ،قاعة المرايا سبعا وعشرين صورة، تصف أمجاد الملك وكانت هذه الصور أروع عمل قام به الرسامون الفرنسيون في هذا العصر، كما تميزت هذه الفترة بالنحت إلا أن المثالين كانوا أقل حضوة في هذا العهد من المصورين ومع ذلك فقد انفقت الدول الأموال الكثيرة في شراء أو نسخ التماثيل الكلاسيكية القديمة .

أما الأدب الفرنسي في هذا العصر، فقد انصرف إلى المسرح ، وقد شجع رشليو المسرحية التي ظلت الكنيسة تحرمها طويلا وجلب مزران الملهاة الإيطالية إلى فرنسا، وكانت المسرحية الحديثة قد بلغت الشكل الأدبي في إيطاليا برعاية بابوات النهضة رفيعي الثقافة واستطاع المسرح الحديث التغلب على المقاومة التي واجهها من قبل رجال الدين كما حضي برعاية لويس الرابع عشر[3] وقد اشتهر في هذا المجال مولبير[4] [1622-1673] الذي كان من أكبر كتاب ذلك العصر، الذي كتب مسرحية " المتحذلقات المضحكات" وكان إخراجها في سنة 1659 م بداية شهرته ثم كتب وأخرج مسرحيات أخرى منها " الحب خير طيب " 1665 والطبيب رغم أنفه ومبغض الشر1666 وتعد الفترة من

---

[1] _ **قصر فرساي**: بدأ بإنشائه لويس الثالث عشر عام 1624 ، وفي عصر لويس الرابع عشر، قام بتوسعات له في الأجنحة والحدائق. أنظر: مسعود الخوند، المرجع السابق ، ص 411 .

[2] _ **الباروكية:** هي اسم الفن الذي سيطر على أوربا من ق 17 ولقد تبعتها كلمة روكوكو كتسمية لمدرسة فنية متشابهة ، وهو مفهوم مخالف للفن الكلاسيكي وهو فن شكل تمثيلي بنقل صورة الإنسان ذلك العصر بأوضاع مسرحية . أنظر: عبد اللطيف سلمان، تاريخ الفن والتصميم 2 الفن في القرن السابع عشر النهجة الباروكية ،د ط،،الجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا، د م،ص 104 .

[3] _ميلاد المقرحي، المرجع السابق ، ص 214 .

[4] _**موليير:** ولد في 15 يناير 1622 اسمه جان باتست بوكلان، قضى خمس سنين يدرس القانون مارس القانون مارسه لحقبة قصيرة، دخل في مجال المسرح عام 1643 حيث انشأ، المسرح الشهير في 30 يونيه 1643وا تخذ إسما مسرحيا له هو موليير من أعماله مدرسة النساء.أنظر: ول ديورانت، ملخص قصة الحضارة ،ج4 ، ص 44-45.

سنة 1643 إلى سنة 1715 قمة " الكلاسيكية" في الأدب الفرنسي الحديث [1] ،ولعل أول حافز للنهضة الأدبية في فرنسا قد انبعث بفضل تشجيع رشيليو للدراما والشعر وهناك دوافع أخرى من بينها الانتصارات العسكرية اختلاط الأدباء والنبلاء والمثقفات من النساء في الصالونات والنوادي[2] ومثال على ذلك الصالون بالمركيز دي رامبوري حيث كان يوفر الصالون الباريسي للكتاب المنبر وفرص اللقاء بشخصيات المجتمع الفرنسي وفي جو مشجع للأحاديث الممتعة ولقواعد السلوك الفاضلة وفي هذا الصدد الصالون ، تعلم أبناء الطبقة الأرستقراطية أن للكلمة قيمة تسمو فوق المبارزة ، وكان للسيدات الباريسيات دور هاماحيث كان يلعبن دور المضيفات في بيوتهن لرجال الأدب والفكر ، ويوفرن لهن الاختلاط بأبناء الأرستقراطية الأوربية[3].

وفي سنة 1663 نضمت أكاديمية فرعية للنقوش والرسائل لتسجيل أحداث العهد ومنذ سنة 1638 بدأ مشروع قاموس اللغة الفرنسية ونشر سنة 1694 وقد أسرف هذا القاموس في فحص لغة الشعب ، والفنون والهن والحرف، وغدت اللغة الفرنسية أعظم اللغات الأوربية احتراما وأصبحت أداة دبلوماسية [4]، وقد صرح فولتير حين وصف عهد لويس قال أن أعظم هبة قدمها لعصره تمثلت في روح المجتمع ، كما قال عنها أرنولد ربان فرنسا هي البلاد حيث يعيش فيها الناس حياة إنسانية حياة الإنسان والمقصدن "[5].

ثانيا:فترة إستبداد الملكية :

أ- إلغاء مرسوم نانت 1685 :

لقد واجه الملك هنري الرابع صعوبات جمة كونه بروسنانتينا ومحروما من الكنيسة ، وأن معظم البلاد الكاثوليكية لا تؤيده، كما يعارضه الإتحاد الكاثوليكي بزعامة ما بيين

[1] _ميلاد المقرحي، المرجع السابق، ص 215 .
[2] _ ميلاد المقرحي، المرجع السابق، ص 216 .
[3] _ رونالد سترومبرج، المرجع السابق ، ص 141 .
[4] _ ميلاد المقرحي، المرجع السابق، 216-217 .
[5] _رونالد شرومبرج ، المرجع السابق ، ص 141 .

وأسرة جيز، ومعارضة فليب ملك إسبانيا الذي كان يطمع في تأسيس أسرة اسبانية تحكم فرنسا ونتيجة لهذه الظروف اعتمد هنري الرابع الأسلوب السياسي الآتي :

- ✓اعتبر الكاثوليكية دين الدولة الفرنسية الرسمي
- ✓رأى ضرورة تمتع المذاهب المصلحة بالحرية التامة في العبادة والعقيدة .

إلا أن هذه السياسة لم تنجح وقامت معارك بين هنري والحلف الكاثوليكي وقد انتصر فيها هنري وكان لهذا الإنتصار نتائجه الخطيرة، فقد اعترفت الدول البروتستانية مثل انجلترا والسويد والدنمارك، ثم اعترفت به البندقية وهي الدولة الكاثوليكية، ووقفت ضده اسبانيا واللورين وقد ساعد هذا الانقسام هنري على ضرب التجمع الكاثوليكي ضربة قوية عام 1590، وتقدم بجيشه وأخذ يضيق الحصار على باريس، ولقد دعم هنري الرابع مركزه حين أعلن كاثوليكية في سنة 1593 وبعدها فتحت باريس أبوابها للملك في مارس سنة 1594 ثم انتهج هنري الرابع سياسة أخرى وهي محاولة استمالته للكاثوليك واستطاع[1]،إقناع البابا كلمنت الثامن بإلغاء صك الحرمان عنه سنة 1895 والاعتراف به ملكا على فرنسا .

وبعد هذه الإجراءات رضخ مابين للأمر الواقع سنة 1596و اضطر فليب الثاني أن يوقع مع هنري الرابع معاهدة فردان 1598 م، كما أن هنري أصدر مرسوم ثاني سنة 1598 م وهو مرسوم نانت الذي أنهى الحروب الدينية في فرنسا، وشمل التسامح الديني مع أتباع كالفن، وأجاز للبروستنانت إقامة شعارئهم الدينية في المدن الخاصة بهم وسمح للهيجونوت بتولي المناصب العامة العسكرية والمدنية وأنشأ للبروستانت محكمة قضائية خاصة ضمت برلمان باريس ، ومحاكم أخرى في المقاطعات، وسمح لهم بعقد مجلس عام يمثلهم ينعقد كل ثلاث سنوات للبحث في أمورهم وأحوالهم، وهكذا نجح هنري الرابع في إنهاء المشكلة الدينية وأقر مبدأ التسامح الديني في فرنسا[2]، لكن هذا التسامح لم يدم طويلا لأن هذا المرسوم قد ألغى فيما بعد فمن الأمور المؤسفة التي وقعت في عهد لويس الرابع

[1] _عبد الفتاح أبو علية ، المرجع السابق ، ص 173-174 .

[2] _عبد الفتاح أبو عليه ، المرجع السابق ، ص 174-175.

عشر إلغاء مرسوم نانت 1685 م، فقد كان الهيجونوت أثناء حربي الفروند موالين للملكة في فرنسا بل إنهم سارعوا بتقديم المعونات المالية لها عندئذ، كما لم يكن الملك لينس الخدمات التي قدموها عندئذ في أحرج الظروف، هذا إلى أنه لم يكن متعصبا بل عرف بالتسامح الديني ولم يكن ميالا للمناقشات الدينية والخوض فيها وا نما كان اهتمامه منصبا على أمر واحد هو الولاء للدولة، ولذلك كانت جماعة الجانسنت[1] بمبادئها تهدد الأسس الدينية والإجتماعية التي يقوم عليها المجتمع الفرنسي، مما جعل هذه الطائفة أشد خطرا من طائفة الهيجونوت حيث قاموا بحركة عدائية ضد الهيجونوت من طرف الكنيسة الكاثوليكية ، حيث كان رجال الكنيسة حريصين على إعادة عدد كبير من رجال البروتستانت إلى العقيدة الكاثوليكية كما اعترضو ا على ما قام به الهيجونوت من فوضى في فرنسا 1598 م لتفسير مرسوم نانت تفسيرا يضاعفون عدد المعابد لممارسة دياناتهم خارج الأماكن التي اتفق عليها وأقر وزراء منهم لوتليه شكاوى رجال الدين الكاثوليك التي تضمنت الحقيقة التالية، أنهم أصبحوا يكونون دولة داخل الدولة وطالبت بالعمل على الحد من حرياتهم وقد أصغى لويس الرابع عشر لتلك المطالب، فبدأ إجراءاته ضد الهيجونوت من عام 1669 م وموضحا بأن بروتستانت فرنسا قد تنازلوا على امتياز اتهم فأصدر أوامره في السبعينات 1670 [2] حرم عليهم العبادة وطرد قسيسهم، وحطم كنائسهم وأغلق مدارسهم وهكذا دفع حوالي مائتي ألف من خيرة الصناع المهرة إلى مبارحة مملكته إلى بلاد أجنبية حيث أقاموا صناعات نافست الصناعات الفرنسية، وأثاروا حقدا لايهدأ ضد فرنسا[3]،ومن العوامل التي أسهمت في دفع لويس الرابع عشر إلى إصدار قرار بإلغاء مرسوم نانت هي رسالة لوتلييه"الذي كتب إلى الملك وهو يحتضر، يطالبه فيها بإلغاء المرسوم لتستطيع روحه الاستقرار والطمأنينة، كما أن لويس الرابع عشر لم يكن على علاقات طيبة مع البابا " إنونست " الحادي عشر، وقد رأى

---

[1] زينب عصمت راشد ، المرجع السابق ، ص 187.

[2] _زينب عصمت راشد ، المرجع السابق ، ص 187.

[3] _هربرت فيشر ، أصول التاريخ الأو ربي الحديث ، نقله إلى العربية : زينب عصمت راشد ، أحمد عبد الرحيم مصطفى أحمد عزت عبد الكريم ،د ج ،د ط ، دار المعارف ، مصر ،د ت، ص 313 .

أن إلغاء المرسوم يحول دون تدخل البابا في الحريات الغالية أي ما حصلت عليه كنيسة فرنسامن حريات واستقلال في بعض الأمورعن كنيسة روما[1]؛وقبل إلغاء لويس الرابع عشرللمرسوم في فرنسا بالترحيب من جانب طوائف الكاثوليك والجانست[2]والجزويت [3] والجالكاينين[4] على السواء أما الدول البروتستانية فقد أدانت لويس الرابع عشر، واتهم لويس الرابع عشر بالتعصب في سائر الدول الأوربية[5]من المؤكد أن ذلك الإجراء قد كلف لويس الرابع عشر غاليا وأسهم في تغيير الدول من فرنسا بعد عام 1685 م،وكانت هناك أثار سلبية للغاية على الإقتصاد الفرنسي نظرا لفرار10% من الهيجونوت على الرغم من العقبات التي وضعتها فرنسا في سبيل تعويق مغادرتهم للبلاد.

ب- حروب الوراثة الفرنسية :

مارس لويس الرابع عشر طوال حكمه سلطة شاملة على سياسة فرنسا الخارجية التي كانت تتحرك من رغبة لأحد لها في التسلط والتوسع ، فقد أغرق لويس أوربا في سلسلة طويلة من الحروب، كان هدفها الأساسي الغزو والتوسع الإقليمي، وكان هدف سياسة الخارجية الدائم والوحيدة يكمن في تحقيق المجد والعظمة لفرنسا، وبالرغم من أنه اعتمد على الدبلوماسية لحسن التدبير، والمفاوضات أحيانا والتهديد أحيانا أخرى فإن الحرب بقيت

---

[1] _زينب عصمت راشد ، المرجع السابق ، ص 188 .

[2] _**الجانست** : طائفة كانوا أتباع جانست ، وكانوا متمسكين بالكاثوليكية كعقيدة وبالكنيسة الكالثوليكية المسيحية الواحدة العالمية وكانوا شديدي التمسك بالحياة الدينية حتى أنهم أطلق عليهم المتطرفين الكاثوليك إلا أنهم كانوا مضطهدين من البابا والملك لإرتكابهم بعض ما يسيء للملكية. أنظر: عبد العزيز سليمان نوار ، المرجع السابق ، ص 172 .

[3] _ **الجزويت** :فرقة كاثوليكية يسوعية تنتشر في أو ربا بصفة عامة ، البرتغال واسبانيا بصفة خاصة وهي جمعية دينية متعصبة أنشأها قيس فرنسي يدعى علي أنياس لايولد في القرون الوسطى ، أنظر : الندوة العالمية للشباب، الموسوعة االميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ،د ج،دط،دم، د ت،ص 642 .

[4] _**الجاليكانين**:من أنصار حرية الكنيسية الفرنسية وهي التي أعلنها مجمع ديني عقد عام 1682 م من رجال الكنيسة الفرنسية لتأييد لوسيل الرابع عشر في إدعائه الخاص بسيطرة الدولة التامة على الكنيسة ، فاحتج الباب انسونت الحادي عشر على محاولة ملك فرنسا ، اغتصاب حقوق البابا في الإشراف على جميع شؤون الكنسية الدينية والدنيوية على السواد . أنظر: هربرت فيشر ، المرجع السابق ، ص 313.

[5] _صلاح أحمد هر يدي ، المرجع السابق ، ص 303 .

هي الأداة الر ئيسية للحصول على المكاسب الإقليمية ولهذا السبب اهتمت فرنسا بتكوين جيش فرنسي حديث وقد أدت هذه السياسة التوسعية إلى سلسلة من الحروب التي سوف يأتي ذكرها كمايلي:[1]

- **حرب الوراثة في الأراضي المنخفضة (1667-1668)**

كان لويس الرابع عشر يطمع في ضم الأراضي المنخفضة الإسبانية، وعرض على إسبانيا أن يتحد معها لسحق البرتغال نظير اعتراف اسبانيا بحقوق زوجته ماريا ثريزا ابنة فليب الرابع من زوجته الأولى (اليزابيت الفرنسي) في العرش الإسباني أو التنازل لفرنسا عن جزء كبير من الأراضي المنخفضة الإسبانية، ولكن فليب الرابع ملك اسبانيا رفض ذلك العرض وعندما توفي فليب الرابع في عام 1665 طالب لويس بالأراضي المنخفضة الأسبانية طبقا لقانون الاستحقاق بالوراثة [2] وبذلك تكون مآريا تريزا ابنة فيليب الرابع وزوجة لويس هي الوريثة لإبنها وليس ابنة شارل الثاني من زوجة أخرى ، وقد حالت دون تحقيق ذلك موانع قانونية أهمها أن ماريا تريزا عند زواجها من لويس الرابع عشر في صلح البرانس 1659 قد تنازلت عن حقها في الوراثة وبعد مفاوضات طويلة قام لويس بالهجوم على فلندرا عام 1667 وبذلك بدأت الحرب المعروفة بإسم حرب الاستحقاق ولم يستطيع الإسبانيون المقاومة طويلا بينما نجح الفرنسيون في هذه الحرب في الشمال وفي الشرق مما آثار ذعر الدول الأوربية، فأسرعت اسبانيا بعقد الصلح مع البرتغال ، وأسرعت هولندا بتسوية خلافاتها مع انجلترا، وتكون تحالف ثلاثي من هولندا وانجلترا والسويد لمنع تقدم الفرنسيين، ونتيجة لذلك أوقف لويس تقدمه وأعادت إلى اسبانيا معظم الأراضي التي أخذها في عام 1668م[3] ووافق لويس على الصلح في معاهدة إكس لاشابل[1] في مايو 1668

---

[1] _ ميلاد المقرحي ، المرجع السابق ، ص 203.

[2] _**قانون الإستحقاق بالوراثة** : هو قانون اقطاعي قديم يقضي بحق أطفال الزواج فقط في الورايثة واستبعاد النسل الناتج من زيحات أخرى.أنظر: عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص 269 .

[3] _عمر عبد العزيز ، المرجع السابق 269-270 .

وبمقتضى المعاهدة أعاد لويس فرانش كونتيه[2] إلى اسبانيا واحتفظ بفتوحاته في الأراضي المنخفضة وهي عدة مدن منها شارلوا، وليل التي كانت بمثابة المراكز التي يسهل منها الهجوم والاستيلاء على الأقاليم المجاورة لها، وبذلك لم يكن صلح أكس لاشابل سوى هدنة مؤقتة لابد أن أن تعقبها الحرب .

- **الحرب مع هولندا 1672-1678 :**

كان السبب الرئيسي في التفوق على الزحف الفرنسي في الأراضي المنخفضة الإسبانية هو تكوين الحلف الثلاثي، ولهذا اعتقد لويس الرابع عشر أن السبب في عقد هذا التحالف الثلاثي هو المستشار الهولندي جون دي ويت، ولهذا رغب لويس في تأديب هولندا وا ٍلى جانب هذا فقد كانت ملجأ الهيجونوت المضطهدين في فرنسا وكانت تقوم بطباعة كتبهم التي تسيئ إلى الملكية الفرنسية، هذا بالإضافة أنها كانت قوة بحرية لا يستهان بها في البحار الخارجية ، وكانت فرنسا تهدف إلى تحطيم هذه الإمبراطورية ، ولكن لويس لم يكن يرغب أن يواجه الموقف الذي واجهه في حربه[3]السابقة في الأراضي المنخفضة من حيث تكوين أحلاف عسكرية ضده ، ولهذا فقد بدأ الدخول في مباحثات مع ملك انجلترا شارل الثاني الذي كان مع المذهب الكاثوليكي فوجد كل ترحيب من لويس الرابع عشر وعقد معه معاهدة دوفر السرية سنة 1670م والتي تم الاتفاق فيها على أن تقدم فرنسا الأموال والقوات اللازمة لإنجلترا لجعل انجلترا كاثوليكية، في الوقت الذي تعهدت فيه انجلترا بعدم مساعدة هولندا ووضع العقبات لأسبانيا، كما استطاع لويس استقطاب السويد عن طريق المال ولهذا كان على هولندا مواجهة الخطر الفرنسي وحده دون قوة مساعدة لها ، حيث انتشرت القوات الفرنسية في الأراضي الهولندية حتى أوشكت على دخول

---

[1] _**معاهدة اكس لاشابل 1668** تص هذا الصلح على احتفاظ فرنسا بالمناطق التي احتملتها على حدود الأراضي المنخفضة وهي شرلو ، وليل وترناي .أنظر: ميلاد المقرحي ، المرجع السابق ، ص 205 .

[2] _**فرانش كونتيه** :اقليم ومقاطعة قديمة في فرنسا ، في محافظات سون العليا ، كانت ميدانا للحروب الدينية وحرب الثلاثين عام وغزاها لويس 14 مرتين . أنظر:علي مولى ، المرجع السابق ، ص 76-23.

[3] _ عبد العزيز سليمان ، المرجع السابق ، ص 177 .

أمستردام إلا أن الشعب الهولندي[1] كان قد قتل المستشار جون دي ويت وخلفه وليم أورنج [2]الذي استطاع استقطاب الحلف القديم وكون تحالف لاهاي العظيم من كل من براندبرج والإمبراطورية وبرونزيك والدنمارك واسبانيا واتحاد الراين .

انتصرت القوات الفرنسية في بادئ الأمر إلا أن القضاء على هولندا لم يكن أمرا يسيرا في تلك الظروف فتم عقد صلح تمويجن 1678 م[3] لإنهاء الحرب الفرنسية الهولندية وقد كانت هذه المعاهدة في صالح فرنسا حيث أنها استطاعت أن تحتفظ بفرانش كونتيه ، كما حصلت على بعض الأراضي في شمال شرق فرنسا، وفي المقابل تنازلت على بعض المدن بعد انتهاء الحرب أطلق الشعب الفرنسي على ملكهم لقب الملك العظيم[4].

➢ حرب البلاتين 1688-1697 :

لم يكشف لويس الرابع عشر بالحروب السابقة ، بل دخل في حرب أخرى ضد الإمبراطور الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت تعرف هذه الحرب بحرب البلاتين أو حرب عصبة أوغسبورج التي أعلنت في سبتمبر 1688، فقد انتهز لويس فرصة موت شارل أمير البلاتين وأعلن ادعاءه عرش الولاية، ومن ناحية أخرى استطاعت هولند منذ سنة 1685-1686م تكوين حلف جديد ضد فرنسا يتكون من اسبانيا والسويد وسافوري وعدد كبير من الو لايات الألمانية وخاصة البلاتين، وقد عرف هذا الحلف بإسم عصبة أو حلف أوغسبورج وانظم اليه سرا البابا وقد بدأت هذه الحرب بانتصارات عديدة حققها الفرنسيون حيث عبروا وبسهولة إلى نهر الراين وآنذاك هب الحلف لمساعدة الإمبراطورية 1688 م وفي نفس السنة انضمت انجلترا لهذا الحلف، وقبل استعداد الحلف هاجمت الجيوش الفرنسية البلاتين مدمرة القرى والمزارع وفي سنة 1689 أصبحت الحرب عامة ،إلا أنها كانت في البداية لصالح

---

[1] _عبد العزيز سليمان نوار ، المرجع السابق ، ص 178 . أنظر:زينب عصمت راشد ، المرجع السابق ، ص 179.

[2] _**وليم أو رنج** :قائد وبطل النضال في الأراضي المنخفضة من أجل الإستقلال ضد اسبانيا في أو اخر القر ن السادس عشر ، مؤسس دولة هولندا الحديثة ، اغتيل في 1584 .أنظر:ميلاد القرحي ، المرجع السابق ، ص 426 .

[3] _ ميلاد المقرحي ، المرجع السابق ، ص 206 .

[4] _عبد العزيز سليمان نوار ، المرجع السابق ، ص 178 .

فرنسا في البحر والبر، ثم ما لبثت أن تغيير الأمور في سنة 1692 خاصة في البحر حيث كان تفوق الأسطول الإنجليزي واضحا[1] وبعد تسع سنوات من الحرب عقدت معاهدة رزويك سنة 1698 التي أنهت الحرب، فتنازلت فرنسا على كل الأراضي التي استولت عليها منذ سنة 1678بإستثناء ستراسبو رج والألزاس، كما وافقت فرنسا أيضا على أن تحتل هولندا سلسلة من الحصون والقلاع المتقدمة في الأراضي المنخفضة الإسبانية (بلجيكا) لتكو ن حدودا آمنة بين فرنسا وهولندا، واعترفت فرنسا بوليام الثالث البروستانتي ملكا على انجلترا [2]

➢ حرب الوارثة الإسبانية 1702-1713 :

كانت الإمبراطورية الإسبانية تثير مطامع أغلب الدول الأوربية ، إذ كانت تضم كل من صقلية ونابولي وسردينيا وميلانو وجزر البليار والأراضي المنخفضة الإسبانية ، كل هذه إضافة إلى ممتلكاتها الأخرى، وقد كانت مشكلة العرش الإسباني من أخطر الأزمات التي واجهت لويس الرابع عشر،وتتمحور هذه المشكلة أساسا حول مصير الإمبراطورية الإسبانية بعد موت الملك شارل الثاني (1665-1700 م) خاصة أنه لم ينجب ولدا يخلفه في وراثة العرش الإسباني [3] حيث كانت كل دولة تحاول السيطرة على ممتلكات الإمبراطورية، فقد رأى لويس الرابع عشر أنه أحق بهذه الوراثة لأنه متزوج من أميرة اسبانية، وكذلك رأى الإمبراطور ليوبولد الأول أنه أحق بهذه الوراثة لأن أمه اسبانية وأخيرا جوزيف أمير بافاريا الذي رأى أنه أحق بصلة القرابة مع العائلة المالكة الإسبانية [4]، إلا أن هولندا وانجلترا رأتا أنه لا يرث أحد من هؤلاء الثلاثةحفاظا على التوازن الدولي في القارة ونتيجة لهذا عقدت المعاهدات لتقسيم أملاك إسبانيا ،وتقرر أن يرث هذه الأملاك والعرش أمير بافاريا جوزيف

[1] _عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز نوار ، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينيا ، د ط، دار النهضة العربية ،بيروت ، د ت ، ص ص ،213 ،215.

[2] _ميلاد المقرحي ، المرجع السابق ، ص 208 .

[3] _هربرت فيشر ، المرجع السابق ، ص 321-326 .

[4] _عبد العزيز سليمان نوار ، المرجع السابق ، ص ص 180-181 .

فرديناند وتحصل فرنسا على الأملاك الإسبانية في إيطاليا، ولكن أمير بافاريا وعلى غير المتوقع توفي فعقدت معاهدات جديدة حتى يرث كارل الأمير النمساوي هذا العرش[1] .

بدأت الحرب الإسبانية فعلا بعد وفاة شارل الثاني من أجل وراثةالعرش وا ٍذا بالدول التي ارتضت بالأمير النمساوي كارل وريثا للعرش تكتشف أن الملك شارل قد ترك وصية قبل وفاته يوصي فيها بأن العرش من بعده سيكون لفيليب أنجو حفيذ لويس الرابع عشر، وقد وافقت الدول المتنازعة على هذا الترشيح ولكن عندما ذهب فيليب أنجو بوراثة عرش فرنسا مما أثار الدول الأوربية التي ترفض اتحاد التاجيين، ومن هنا بدأت سلسلة الحروب الإسبانية والتي استمرت لأكثر من عشر سنوات ، وهنا ظهر وليم أورنج عدوا للويس الرابع عشر وكون حلفا عرف بالحلف الأعظم في 08 سبتمبر من هولندا والإمبراطور وانجلترا، فرد لويس بأن إعترف بأحقية ابن جيمس الثاني في عرش انجلترا لذلك أعلنت انجلترا الحرب ضد فرنسا في مارس 1702 م وبدأ الفرنسيون في الزحف صوب فينيا لإسقاطها غير أن القائد الإنجليزي ملبرة إنطلق[2] بجيش مكون من الإنجليز والألمان، والهولنديين في1704 م ، لضرب الفرنسيين قبل وصولهم إلى فينا وبالفعل التقى الجيشان عند بلنهيم وهزمت القوات الفرنسية أمام جيش ملبرة ومنعها من الوصول إلى فينيا وتابع ملبرة جهوده في القضاء على القوات الفرنسية فإتجه إلى الأراضي المنخفضة وهزمو ه مرة[3] أخرى أمام ملبرة في معركة مالبلا كية، وهنا رأى لويس الرابع عشر أنه لا سبيل سوى طلب الصلح، لكن كل من هولندوا انجلترا رفضنا رغبة في الحصول على شروط أفضل، فما كان من لويس إلا أن وقف بحزم، ونجحت قواته في إلحاق الهزيمة بالنمسا في موقعة دينا ين سنة 1712 م وكان في ذلك صحوة لكل من انجلترا وهولندا خوفا من عودة فرنسا إلى قوتها السابقة فواقتا على بدئ المفاوضات بين الطرفين أدت إلى عقد صلح أو ترخت[4] .

---

[1] _عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص 274 .

[2] _عبد العزيز سليمان نوار ، المرجع السابق ، ص 182-183 .

[3] _مفيد الزيدي ، المرجع السابق ، ص 531 .

[4] _عبد العزيز سليمان نوار ، المرجع السابق ، ص 183.

❖ صلح أوترخت 1713-1714 :

وقد نص هذا الصلح على مايلي :

- الاعتراف بفيليب أنجو، الخامس حفيد لويس الرابع عشر ملكا على اسبانيا ومستعمراتها بشرط أن يتنازل عن جميع حقوقه في عرش فرنسا .
- يستولي الإمبراطور شارل السادس منذ عام 1711 م على نابولي وسردينيا وميلان والأراضي المنخفضة الإسبانية، بلجيكا .
- حصلت انجلترا على نيوفو ندلاندو خليج هدسون ونوفا سكوشيا من فرنسا على مينورقة وجبل طارق من اسبانيا، كما تعقدت فرنسا بعدم مساعدة أسرة استوارت بالمطالبة بعرش انجلترا وتم الاعتراف بحقوق أسرة هانوفر في وراثة عرش انجلترا .
- استبقت فرنسا الألزاس بما فيها مدينة سترامبورج وفق معاهدة رايزفيك ولكنها سلمت القلاع التي استولت عليها على جانب الراين الأيمن .
- أعيد كل من ناجي كولون وبفاريا إلى امارته [1].
- تم الاعتراف بناخب براندبو اج ملكا على بروسيا ، وكانت هذه خطوة قيمة في ازدياد نفوذ أسرة الهومنزلون .
- تم الاعتراف بدوقية سافوي كمملكة وأعطيت جزيرة صقلية .
- تم الاتفاق على هدم تحصينات دنكرك .

وهكذا خرجت انجلترا من حرب الوراثة الإسبانية منتصرة ووضعت أساس سيادتها في البحار وأحرزت التفوق في أوربا، بينما خرجت فرنسا مجهدة وحالتها المالية سيئة وأخفقت في سياسة الوصول إلى الحدود الطبيعية وبصلح أوترخت تكون قد انتهت الحروب الإسبانية [2].

[1] عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص 277 .

[2] عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص ص 377 ،378 ،379

ثالثا:فترة الانحلال والضعف (1715-1774)

خلف لويس الخامس عشر جده العظيم لويس الرابع عشر في عام 1715 وكان يبلغ من العمر خمس سنوات وكان لويس الخامس عشر من أضعف ملوك فرنسا قاطبة إذ فقدت الملكية المطلقة في عهده قوتها وبهاءها وصار النساء يتحكمن في عهده في سياسة الدولة ويبذر ن أموالها ويكثرن من الفضائح التي ساعدت على إسقاط نفوذ الملكية، كما تمتع النبلاء في عهده بنفوذ كبير حيث سيطروا على مراكز القيادة في الجيش ، فقد كانوا دائما يحرضون الملكية الفلرنية على اتخاذ الحرب كأسلوب لفض المشاكل الخارجية ، وهكذا كان دخول لويس الخامس عشر في الحروب السليزية الثلاث(البولندية، النمساوية، وحرب السبع سنوات)[1].

أ_الحرب السليزية الأولى :

عندما توفى شارل السادس 1711-1740 امبراطور الإمبر اطورية الرومانية في أكتوبر 1740، ترتب عن ذلك أزمة سياسية في أوربا أدت هذه الأزمة إلى نشوب سلسلة من الحروب تعرف بإسم "حرب الوراثة النمساوية 1740-1748"، كان شارل السادس يخشي أن تتعرض أمبراطوريته لما تعرضت له الإمبراطورية الإسبانية في أعقاب وفاة شارل الثاني 1665-1700 دون وريثا يخلفه في العرش ولهذا السبب أصدر شارل السادس تعديلا لقانون وراثة العرش في بلاده يجيز لابنته ماريا تريزا زوجة فرنسيين أمير اللور ين أن تجلس على عرش الإمبراطورية، وبعد محاولات سياسية وافقتدول وا إمارات أو ربا على المرسوم الجديد إلا أن بافاريا كان يعتبر نفسه أحق من غيره بوراثة العرش الإمبراطوري بحكم قرابته للأسرة الحاكمة في النمسا وبعد وفاة شارل السادس أل العرش لإبنته ماريا تريزا (1740_1780) فالأحوال المالية لم تكن جيدة، والجيش لم يكن قويا ومنذ البداية أدت الأطماع الخارجية إلى دخول الإمبراطورية سلسلة من الحروب لم تكن النمسا مستعد، لها

[1]_ مفيد الزيدي ، المرجع السابق ، ص 531 .

وأدى ذلك إلى المطالبة بالعرش من قبل عدد من الملوك والأمراء في أوربا ومن هؤلاء أمير بافاريا وناخب سكسونيا ، وفيليب الخامس ملك إسبانيا[1]وفريدريك الثاني ملك بروسيا، وكان ناخب سكسونيا يطمح في بعض الممتلكات النمساوية متخذا من زوجته النمساوية أداة للوصول إلى هذا الهدف أما فليب الخامس كان يهدف إلى استعادة ما أخذته النمسا من أراضي لإسبانيا في ايطاليا بموجب معاهدة أو تراخت سنة 1713م أما لويس الخامس عشر فقد نظر إلى مصاعب الإمبراطورية بوصفها فرصة ملائمة للاستيلاء على الأراضي المنخفضة النمساوية "بلجيكا" والخطر الحقيقي جاء من بروسيا التي كانت تطمع في ضم سيليزيا الغنية بمواردها الطبيعية، وهكذا زحفت القوات البروسية في أول ديسمبر 1740م لإحتلال سليزيا وتم احتلالها في أفريل من السنة التالية وتم كل ذلك دون إعلان الحرب أو تقديم مبرر لهذا العدوان[2] وما كادت النار تشتعل حتى انتشرت على نطاق واسع واشتبكت كل دول أوربا تقريبا في حرب طويلة ومريرة ، ومنذ سنة 1740م اتخذت الحكومة الفرنسية قرار في الاشتراك مع بروسيا في الهجوم على النمسا وبهذا القرار تورطت فرنسا في حرب أوربية[3]مرهقة وردت الإمبراطورة على عدوان بروسيا بإعلان الحرب ، وهبت تدافع عن عرشها ضد حشد من الأعداء ، وقد عرفت الحرب يومئذ بحرب سليزيا الأولى، ولم يكن بإمكان النمسا أن تتجاهل تصرف بروسيا وبهذا رفضت ماريا تريزا كل محاولات التسوية و أسرت على محاربة بروسيا ، وشجعت هزيمة النمسا في البداية شارل ألبرت على التحرك لأنه كان يسعى لتوسيع حدود بافاريبا شرقا ، وفي الوقت ذاته ظهرت الأطماع الفرنسية بوضوح ، ففي فرنسا كانت تريد استغلال هذه الأزمة لتأكيد نفوذها وتفوقها في أوربا فاجتاحت([4])القوات الفرنسية بوهيميا وأستولت على براغ ، كما تقدم شارل ألبرت بقواته في عمق النمسا من فينيا وفي سنة 1742 أعلن نفسه امبراطورا في فرانك فورت

1 _ميلاد المقرحي ، المرجع السابق ، ص ص 263-264 .

[2] _ملك المقرحي ، المرجع السابق ، ص 265 .

[3] _هربرت فيشر ، المرجع السابق ، ص 338.

[4] _ميلاد المقرحي ، المرجع السابق ، ص 266 .

تحت اسم شارل السابع ، وكان على النمسا أن تواجه تحالفا ثلاثيا يتكون من بروسيا وفرنسا وبافاريا، إلى أن حرب سليزيا الأولى سوعان ما انتهت حين ما توصلت كل من بروسيا والنمسا إلى التسوية في سنة 1740 وبموجب هذه التسوية اعترفت النمسا قانويا بمكاسب بروسيا الإقليمية، وفي السنة ذاتها ألحقت القوات النمسلوية والمجرية الهزيمة بأمير بافاريا وأجبر عن التنازل عن أملاكه في النمسا وعن لقبه الإمبراطوري، كما وقع معاهدة تخلى فيها عن إدعائاته في الإرث النمساوي، ومن ناحية أخرى انسحب الفرنسيون من بوهيميا وركز جهودهم على الدفاع عن الإلزاس واللورين.

ب_ حرب السيليزية الثانية :

كانت بريطانيا تخشى من أي انهيار محتمل لقوة النمسا العسكرية ، كما كانت تنظر بعلين القلق إلى الأطماع الفرنسية على الأراضي الإمبراطورية وخاصة في الأراضي المنخفضة وهكذا بدأت بريطانيا تدريجيا تتدخل في هذه الحرب ، ودون إعلان الحرب أرسلت قواتها إلى أوربا لمنح فرنسا من احتلال الأراضي المنخفضة النمساوية " بلجيكا" وقامت بريطانيا في ديسمبر 1743م بتشكيل حلف مع النمسا وسردينيا عرف بتحالف ورمز، وكان موجها أساسا ضد فرنسا وبتشكيل هذا التحالف أصبحت فرنسا مهددة من ثلاث جهات من هانوفر حيث يوجد الجيش الإنجليزي، ومن النمسا التي تضغط على الألزاس واللورين ومن الشرق حيث سافوري، وصممت النمسا على ضم بافاريا وغزو الألزاس[1]، واللورين واستعادة نابولي وسيليزيا وبذلك تحولت الحرب التي بدأت بخطة لتدمير النمسا إلى حرب لتجزئة فرنسا، أثارت هذه التطورات مخاوف بروسيا من أن تعود ماريا تريزا لإسترجاع سيليزيا، وهكذا في سنة 1744م اجتاحت قوات بروسيا بوهيميا واحتلت براغ العاصمة في 16 سبتمبر 1744م وبذلك بدأت حرب سيليزيا الثانية، وبعد عدة انتصارات على القوات النمساوية وافقت النمسا على التفاوض مع بروسيا، وتوصل الطرفان على صلح جديد في "درسدن DRESDEN"، أكد شروط الصلح السابق، خاصة سيادة بروسيا على سليزيا،ومع

[1] _ميلاد المقرحي ، المرجع السابق ، ص ص ، 226 -267.

ذلك فإن الحرب استمرت في الجبهات الأخرى في الأراضي المنخفضة بين فرنسا والنمسا من ناحية وبريطانيا وروسيا من ناحية أخرى وفي البحار بين بريطانيا وفرنسا من ناحية واسبانيا من ناحية أخرى، وفي إيطاليا بين اسبانيا وفرنسا من جهة والنمسا وحلفائها من جهة أخرى، وفي أكتوبر 1748م تم توقيع معاهدة إكس "لاشبيل" "AIX LA CHAPELLE" وضعت حدا لتلك الحرب المدمرة ، ومن أهم بنودها اعتراف كل الدول الأوربية بحق ماريا تريزفي وراثة عرش الإمبراطورية دون منازع وا ٍعادة كل شيء في أوربا إلى ما كان عليه باستثناء حالات قليلة ، فقد اعترفت أوربا بحق فريدريك الثاني "ملك بروسيا" في سيليزيا[1] كما حصلت اسبانيا وسردينيا على مكاسب إقليمية في ايطاليا، إلا أن الصلح لم يضع حدا نهائيا للمشاكل التي كانت كفيلة بأن تؤدي إلى الحرب من جديد ، فهي لم تسوي الصراع البحري والتجاري بين بريطانيا من جانب وفرنسا وا ٍسبانيا من جانب آخر[2] والصراع من أجل السيطرة و النفوذ في ايطاليا، ولم يقرر مصير الأراضي المنخفضة، فبالرغم من أن الصلح نص على إعادتها إلى النمسا فإن فرنسا، سرعان ما استولت عليها ولم يحسم الصراع نهائيا بين بروسيا والنمسا حول سيلزيا ، فالتنافس بين الدولتين في منتصف القرن الثامن عشر كان شديدا ولم يتوقف بمعاهدة السلام 1748م، وصممت ماريا تريزا على استعادة سيليزيا، وأدركت أن العدو الحقيقي لها هو بروسيا، وأنه من الخطر أن يحدث تحالفا بين فرنسا وبروسيا، أما فرنسا فقد أدركت أن ملك بروسيا فريدريك الثاني لايتردد في الانقلاب عليها إذا ما توسعت في الأراضي المنخفضة النمساوية "بلجيكا" كما اتضح أن الطموحات الفرنسية في الأراضي المنخفضة يمكن أن تحقق من خلال التفاهم مع النمسا والتعاون معها من أجل إعادة رسم خريطة أوربا بطريقة تحقق أهداف الدولتين، وهكذا لم تكن الفترة الممتدة من سنة 1748م، إلى سنة 1756 إلى هدنة مؤقتة[3].

[1] _ ميلاد المقرحي ، المرجع السابق ، ص 267 .

[2] _عبد الحميد البطريق ، المرجع السابق ، ص 287 .

[3] _عبد الحميد البطريق ، المرجع السابق ، ص 287 .

ج_الحرب السليزية الثالثة(حرب السبع سنوات 1756-1763):

بالرغم من حسم مشكلة سليزيا في معاهدة إكس لاشبيل 1748، ظلت النمسا تحاول استر جعها بكل الطرق ومن ناحية أخرى ظهرت بروسيا كدولة عسكرية كبرى، وتزايدت مكانتها السياسية والدبلوماسية في كل من ألمانيا وأوربا هذا ما جعل النمسا تعتبرها عدوتها الأولى ، ومنذ سنة 1750م بدأت النمسا تحاول الوصول إلى تقارب وتفاهم مع فرنسا، بأنها بحاجة إلى حليـف قوي كالنمسا[1] أما بـــروسيا فقد دخلت في تحالــف مع بريطانــيا سنة 1756م بعد توقيع اتفاق وستمنستر في يناير من نفس السنة ، وفي ماي 1756م تم توقيع اتفاق بين فرنسا والنمسا في فرساي حيث تعاهد فيه كل طرف بتقديم المساعدة في حالة وقوع عدوان من قبل طرف ثالث ،وفي نهاية 1756 م انضمت إليها روسيا وكان هذا التحالف موجها أساسا ضد بروسيا، وبذلك سار تحالف فرساي تحالفا ثلاثيا يتكون من فرنسا و النمسا وروسيا، وهكذا كانت أوربا تسير بسرعة نحو حرب شاملة وكان أساسها رغبة النمسا في استعادة ما فقدته، حيث رافقت هذه الحرب التي عرفت بحرب السبع سنوات العديد من الأزمات والخلافات التي عرفتها أوربا[2].

كان فريدريك الثاني يخشى من مخططات ماريا تريزا التي كانت تهدف إلى محاصرة بروسيا وتطويقها، خاصة بعد أن انضمام سكوسونيا الألمانية التي كانت على علاقة طيبة مع فرنسا، وهكذا في أغسطس في سنة 1756م اجتاحت قوات بروسيا، سكسونيا فجأة وبذلك بدأت حرب السبع سنوات وفي أكتوبر استولت القوات البروسية على سكسونيا تماما إلا أنها سرعان ما مامنيت بالهزيمة في يونيو 1757، وفي نفس السنة وقعت روسيا والنمسا تحالفا دفاعيا هجوميا، وانضمت السويد إلى التحالف الروسي النمساوي الفرنسي في مارس وفي سنة 1759م-1760م، تبين أن بروسيا لا تستطيع أن تستمر في الحرب ضد دول كبرى رغم المساعدات العسكرية البريطانية لها، وبات فريدريك في محنة باعثة على

[1] _ميلاد المقرحي، المرجع السابق ، ص 259 .

[2] _ ميلاد المقرحي، المرجع السابق ، ص 269 .

اليأس، وبينما كان فريدريك على وشك الانتحار حدث تحول مهم، ففي 05 يناير 1762 م ماتت أليزابيت قيصر روسيا، وخلفها بطرس الثالث الذي كان من أشد المعجميين بفريدريك الذي بادر بتحويل روسيا من عدو إلى صديق [1].

عموما إن هذه الحرب كانت طويلة حيث شاركت فيها فرنسا و روسيا وبروسيا، والنمسا وبريطانيا والسويد، وهذه الحرب التي بدأت بسيليزيا كانت حربا مزدوجة ، فهي حرب بروسية نمساوية روسية من ناحية، وحرب انجليزية فرنسية من ناحية أخرى، ودارت معاركها في ثلاث مناطق ، المنطقة الأولى، هي ألمانيا الغربية، شرق نهر الراين والمنطقة الثانية هي وسط ألمانيا في بوهيميا وساكس وسيليزيا وبراندبورج و بوميرانيا والمنطقة الثالثة كانت هي بروسيا نفسها .

أما في ألمانيا الغربية فكانت الحرب هناك تمثل مراحل من الحرب الفرنسية الإنجليزية وكان هدفها هو غزو إقليم هانوفر، وأما في ألمانيا الوسطى، فإن المعارك التي دارت هناك كانت تعتبر العمليات الأساسية في الحرب، ودارت في ساكس وسيليزيا حيث ظهرت فيها مهارة البروسيين في المناورة ومفاجئة العدو، وكان على فريدريك الثاني أن يواجه هجمات النموسويين من الجنوب، وهجمات الروس من الشرق، حيث اضطر إلى التنقل باستمرار من ساكس إلى سيليزيا، ومن سيليزيا إلى براندابولج، وعلى الرغم من ذلك فإن الحرب كانت مرهقة، أدت إلى شعور فرنسا بالملل هذا من ناحية والتغيير موقف روسيا اتجاه بروسيا من ناحية أخرى، كلها كانت عوامل فعالة ومؤثرة في الحرب[2].

كانت حرب السبع سنوات نتائج عالمية أدت إلى عقد معاهدة الصلح عام 1763 بين الدول المتحاربة، في معاهدة هوربر نوزيرغ ومعاهدة باريس وأهم موارده ونتائجها هي :

- تخلي ماريا تريزا عن سليزياواحتلال هوهنزلزن ألمانيا وعد بروسيا دولة عضمى.

[1] _يحي جلال ، المرجع السابق ، ص 147 .

[2] _يحي جلال ، المرجع السابق ، ص 174 .

- تنازل فرنسا لبريطانيا عن كندا والأقاليم الواقعة إلى الشرق من نهر المسيسبي، ولأسبانيا عن لويز يانا مقابل مساعدتها الحربية لها، ولم يبق لفرنسا سوى جزيرتين صغيرتين قرب نيوفوندلاند وجواد يلوب ومارتينيك في الهند الغربية وغيانا الفرنسية في شمال أمريكا الشمالية

- تخلي اسبانيا لبريطانيا على فلوريدا .
- سيطرة بريطانيا على الهند بعد فقدان فرنسا مراكزها التجارية .
- الإقرار بسيادة بريطانيا البحرية والاستعمارية المطلقة .
- وانحطاط مركز الحكم المطلق في فرنسا واسبانيا [1] .

[1] _مفدي الزيدي ، المرجع السابق ، ص ص 534 ، 535 .